

حقوق الإنسان.. سؤال واحد وأربعة أجوبة»

الكاتب



نسيم الخوري

د. نسيم الخوري

كيف تدخل البشرية الـ 2024 من دون هذا السؤال الطويل

من أيّ رحم خرجت فكرة «حقوق الإنسان»، وإنّي خرجت معها من رحم أمّي في الـ 1948 بصرخةٍ مُعلنًا حقّي في -1 الحياة إلى أقمطة من الحقوق الطبيعية بالنظافة والحنان والمحبة والرضاعة والغذاء والنوم والكسوة والدفع والطبابة والنمو والتعلم والتّرقّي، وصولاً إلى مشاركة الأمم والأنظمة في حقوق القول والكتابة التي تحسر عن وجهها منذ 76 سنة، وفي 10 ديسمبر/ كانون الأوّل من كلّ عام عبر النصوص والخطب البليغة والوعود العظيمة احتفاءً بتلك الحقوق

لهذا السؤال أربعة أجوبة

برزت حقوق الإنسان عبر خمائر استقلال أمريكا في 4 يوليو/ تمّوز 1776، الأمر الذي انتظر حتى 26 أغسطس/ - 1 آب 1789، أي 13 سنة لإعلان حقوق المواطنة في القارة الأمريكية. هبّت الرياح الديمقراطية منذ بدايات القرن التاسع عشر لترسو مع الحرب العالمية الأولى في فرنسا، وتزهو في أنظمة ديمقراطية آلت إلى ذبول تطلّعات الشعوب ويقظة. متجدّدة هائلة «لليكتاتوريات» التي تفشّت في بعض أوروبا

جاءت «حقوق الإنسان» بمعناها المعاصر من أشلاء الحريين العالميتين، عندما أوكلت عصبة الأمم عام 1946 - 2 إلى لجنة خاصّة وضع صيغة إعلان عالمي لـ «حقوق الإنسان»، قوامها رينيه كاسان ممثلاً لفرنسا، وإليونور روزفلت زوجة الرئيس الأمريكي فرانكلين، وبينغ شونغ شانغ ممثلاً للصين، والكندي بيبترز همفري والدكتور شارل مالك من لبنان. وأنهت اللجنة المشروع وأقرّ بباريس في 10 ديسمبر/ كانون الأوّل 1948، بحضور 56 دولة، امتنعت 8 عن

التصويت. كان منتظراً تفصيل المشروع بتياب كونية إنسانية، لا برغبات دولية، لأنّ الدولي جعل الأمم الديمقراطية تتمسك بحقوق الإنسان والعلمانية كمبدأ يوحّد الدول، ويخرجها من بحور الدماء، فيصبح الحق معتقداً سياسياً مدنياً جديداً، بينما يفترض الكوني، بالمقابل، حروباً وثورات محلية ومستوردة تُخرج الشعوب من معتقداتها الدينية للإيمان بالديمقراطية. هكذا ندرك كيف شاعت فكرة «حقوق الإنسان» من باريس إلى جنيف وفيينا ونيويورك فتتطّلع الشعوب إليها بانتظار الكلمة الحاسمة بين الدين والدنيا.

لاحت بذور «حقوق الناس» أساساً منذ الفلسفة اليونانية، إذ ناقشها أرسطو متبنياً العدالة والحق ووحدة الجنس - 3 البشري، ليرتفع بها أفلاطون في «مدينته الفاضلة» التي جذبت «هوبز» و«لوك» في زمن لاحق، لكنها بقيت واقعاً مضيقاً وباهراً في الدين الذي عاصر الديمقراطيات كلّها، ونافسها واندمج فيها، وما برح قائماً فيها، وفي أسسها الفكرية. وهنا أستعيد جملة لجان جاك روسو في كتابه «العقد الاجتماعي»: «ليس هناك من دولة قامت في التاريخ ولم يكن حجر الدين في أساسها». وإذا كانت الآلهة قد أخرجت من المعابد في الدول الإمبراطورية العظمى لتصبح دنيوية، فإنّ الأوطان والملكيّات والإنسان راحوا يدخلون إليها في الشرق والجنوب في عودة إلى الأديان. وهنا بضعة أسئلة بل قرائن:

ألم يصف البابا بيوس السادس المواد الـ 17 لحقوق الإنسان بأنها تهجم على الدين والمجتمع؟ وألم يتصوّر البابا - 4 بيوس التاسع أنّ البشرية تزحف نحو ركامها وهي تخطب شعار حقوق الإنسان؟ ألم يقل البابا بيوس العاشر إن جحوداً أدياً سيبقى قائماً بين الكنيسة و«حقوق الإنسان»؟ وفي المقابل، ألم يقل البابا يوحنا بولس الثاني في الأمم المتحدة في الـ 2008، إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو القيمة الجوهرية التي تحكم ضمير أعضائها ليبقوا متمسكين بعدم إهمال الحقائق والمبادئ التي تحتفظها هذه الوثيقة، فلا يتناسون روح لحظة ولادتها الأليمة، وإلا فإن نهايات المؤسسة التي تجمع الأمم أي المشترك المفترض بين البشر، قد تأخذ طريقها مجدداً نحو الركام؟

للمسيحية فضائل كبرى، لكنها لم تضع حقوق الناس فوق واجباتهم نحو الخالق كحقائق مطلقة. نعم وردت كلمة الإخاء في العهد القديم، وآدم ونوح في الجديد، وورد الإيمان والرأفة بالفقراء والمساكين والبؤساء وعمل الخير، لكنها بقيت مصطلحات عصيّة على التطبيق. لقد استهلكت كلمة «حقوق الإنسان»، ختاماً، 17 قرناً كي ترتسم ملامحها، لكنها أخفقت وهي في تعثر دائم

drnassim@hotmail.com